المحاضرة السابعة: أشهر البيبليوغرافيات عند العرب والمسلمين.

للمسلمين تاريخ طويل في فن الببليوغرافيا وتنظيم الوصول إلى المعلومات ، وقد عنوا بذلك عناية فائقة ، وقد ازدادت الحاجة إلى التعرف على المؤلفات و المصنفات التي ألفها العلماء في مختلف الفنون مع ازدياد ونمو النهضة الإسلامية في العلوم والآداب والتاريخ وعلوم اللغة والدين، ويلاحظ ذلك أثناء القرن الرابع الهجري بوجه خاص حيث كثرت المؤلفات بصورة فائقة حتى شعروا بحاجتهم إلى حصر أهم ما ألف في كل علم، ومع ازدياد حرفة الوراقة وكثرة الوراقين كان لابد أن يتولى أحد هذه المهمة ، ومن هنا كانت بداية البيبليوغرافيا عند المسلمين ، ومن أشهر المؤلفات في هذا المجال:

1- كتاب الفهرست لابن النديم:

ابن النديم هو أبو الفرج محمد بن إسحاق النديم ، عاش في القرن الرابع الهجرى وقيل بأنه توفي سنة 385 ه، ورغم أن كتابه من أشهر الكتب وأهمها في التراث العربى ؛ إلا أن المتصفح لكتب التراجم على كثرتها لا يجد فيها ترجمة وافية له .

والملاحظ أن كتاب الفهرست يعتبر أول بيبليوغرافية شاملة للتراث العربى، والمؤلف يمكن اعتباره الرائد الأول في علم البيبليوغرافيا لدى العرب ،وإذا نظرنا نظرة بيبليوغرافية إلى كتاب الفهرست لاستطعنا أن ندخله تحت البيبليوغرافية العامة، ولا يعتبر كتابا بيبليوغرافيا فقط، وإنما يدخل تحت نوع آخر من أنواع البيبليوغرافيات وهو ما يسمى ببليوغرافيات المؤلفين والمصنفين، وبالرغم من أنه كتب كثيرا عن فهرست ابن النديم إلا أنه لم يأخذ حقه من الدراسة العلمية من الوجهة البيبليوغرافية الخالصة، وقد رتب ابن النديم الفهرست الذي أعده ترتيبا مصنفا وفق رؤوس موضوعات عامة أسماها مقالات، وكل مقالة فرعها إلى عدد من الفنون بلغت 33 فنا ، أي أنه رتب كتابه تحت 33 رأس موضوع ، ومن هذا يتضح لنا أن ابن النديم كان رائدا من رواد علم البيبليوغرافيا بمعناها العام .

2- الفهرست لابن خير:

من المصنفات التي اهتمت برصد التراث العربي الإسلامي في بلاد الأندلس الفهرست لابن خير (1108 - 1179 م)، حيث يتكلم في مقدمة كتابه عن فضل العلم وفائدته وعن الوسائل التي يتم بها نقل العلم، فهو يشير إلى الكتب التي سمعها من شيوخه، ويقدم سلسلة النقلة بالتواتر إلى زمانه، فيعرف متى ومن نقل إلى الأندلس المؤلفات المكتوبة في المشرق،

ويروى ابن خير أسماء الكتب حسب ترتيب العلوم والموضوعات، فجعل لكل موضوع بابا خاصا يشتمل على كتبه، من ذلك كتب علوم القرآن، الحديث، التاريخ، التراجم، السير والأنساب، الفقه، الفرائض، الآداب، اللغات والأشعار ... إلخ . وقد حرص ابن خير على أن تنسب الكتب إلى أصحابها، وذلك بالاعتماد على الرواية الدقيقة من أهل الثقة في ذلك المجال والكتب التي ذكرها ابن خبر في كتابه تقدر بما يزيد على ألف وأربعين كتابا .

3- إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد للسنجارى : مؤلف الكتاب هو محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري السنجارى الأكفانى المتوفى سنة 749 ه - 1348 م ، ويقع الكتاب في مجلد صغير لا تزيد صفحاته على مائة صفحة، وتشمل المقدمة والخاتمة ربع عدد الصفحات، والكتاب لا يعدو أن يكون بيبليوغرافية انتقائية، أي يسجل فقط عددا منتقى من الكتب في كل موضوع، والسبب في ذلك أنه كتاب تربوي يزود الراغبين في العلم بأهم الكتب في الموضوعات المختلفة في نظر مؤلفه، ويتضح من مقدمات الكتاب تأثر مؤلفه بإحصاء العلوم للفارابى، وقد تحدث المؤلف عن ستين علما، بلغ عدد الكتب فيها (400 كتاب)، والكتاب على صغره عظيم القيمة، فقد رتبه صاحبه ترتيبا معنفا أيضا، وتصنيفه أرقى من تصنيف أبن النديم، وهو يعطينا صورة للحياة العقلية في القرون التي تلت تأليف الفهرست حتى ظهور كتاب مفتاح السعادة ومصباح السيادة.

4- طاش كبرى زاده و كتابه مفتاح السعادة : مؤلف الكتاب هو عصام الدين أبو الخير أحمد بن مصطفى بن خليل المعروف بطاش كبرى زادة نسبة إلى قرية طاش كبرى التي عاشت فيها أسرته (وهي إحدى قرى آسيا الصغرى)، وقد ولد سنة 901 ه - 1495 م ، وتوفى سنة 968 ه - 1561 م في مدينة استانبول حيث دفن ، وقد بدأ طفولته بحفظ القرآن الكريم في مسقط رأسه طاش كبرى، ثم انتقل إلى مدينة بروسة حيث تعلم اللغة العربية وآدابها ، وقد أجيز بعدها في الرواية والتدريس والقضاء ، وقد عمل مدرسا وقاضيا في العديد من المدارس والمناصب ذكرها جميعا بتواريخها، وقد ألف كثيرا من الكتب وصلنا منها ثمانية وثلاثون كتابا ، أهمها كتابان هما : الشقائق النعمانية ، ومفتاح السعادة.

وقد ألف طاش كبرى زادة كتابه في موضوعات العلوم سنة 948 م - 1541 م أي قبل وفاته بعشرين عاما، بعد أن اكتملت معارفه وصقلت خبراته، والكتاب يعتبر موسوعة

ببليوغرافية مع تراجم مختصرة للمؤلفين، رتبت فيها الكتب ترتيبا مصنفا وفقا لنظام معين لتصنيف المعرفة ، والهدف من الكتاب تربوي ، لأن تحصيل العلوم يحتاج إلى أن نعرف كل علم ثم نعرف فروعه وأسماء الكتب المؤلفة فيه ومعرفة مراتب مؤلفيها ، ومن ثم فقد اخذ في حصر العلوم مجملة ثم ابتدأ في تفصيلها ، ويعد الكتاب مرجعا ببيليوغرافيا نفيسا ، جمع فيه مؤلفه أسماء الكتب المؤلفة في أنواع العلوم المعروفة في عصره، وبلغ عددها نحو ثلاثمائة علم وقد رتبها في أربع مراتب قسمها إلى سبع درجات، وهذه إلى شعب كل منها يبحث في موضوع أو علم.

5- حاجي خليفة كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: ولد حاجي خليفة بمدينة القسطنطينية سنة 1017 ه ونشأ بها، وقد درس العلوم المختلفة وأتقن المعارف الأساسية السائدة في عصره، وقد عمل موظفا في الجيش التركي ثم تفرغ ابتداء من سنة 1045 هـ لإنجاز المهمة التي كان قد بدأها في حلب وهي مهمة تدوين الكتب، فكان يجمع أسماء الكتب التي يجدها عند الوراقين وفي المكتبات ولا سيما كتب التاريخ والطبقات، وأنفق أموالا طائلة في سبيل اقتنائها، وقد ظل يعمل في هذا المجال مدة تزيد على عشرين سنة حتى وفاته عام 1067 هـ، يذكر حاجى خليفة بأنه بدأ بتدوين أسماء الكتب أيام إقامته بحلب سنة 1043هـ.

وقد اطلع حاجي خليفة على الكتب المؤلفة قبله في موضوعات العلوم واستفاد منها وبخاصة كتاب المطالب الإلهية لملا لطفى (900 هـ) وكتاب الفوائد الخاقانية للمولى محمد أمين بن صدر الدين الشروانى (1036 ه) ، واستفاد أيما فائدة من كتاب مفتاح السعادة ومصباح السيادة السالف الذكر فكان ينقل عبارته بنصها في بعض المواضع وينقلها بتصرف في مواضع أخرى، وقد جاء الكتاب أوفي البيبليوغرافيات العربية وأشملها وأكثرها قيمة، وقد اشتمل على (1500) كتاب ورسالة، وتحدث فيه عما يزيد على (300) علم وفن، وسجل ما يزيد على (9.500) من المؤلفين، ويشير إبراهيم الإبياري بأن مجموع الكتب التي عرضها كتاب كشف الظنون لحاجي خليفة مرتبة على حروف الهجاء بلغت ما مجموعه 14501 كتاب.

ويعتبر كتاب كشف الظنون من أشمل البيبليوغرافيات العربية بالنسبة للمخطوطات، ويقدم صورة صادقة للإنتاج الفكري العربي حتى القرن الحادي عشر، وأغلب الكتب التي ذكرها موجودة بالفعل بخلاف الكتب التي وردت في فهرست ابن النديم والتي فقد معظمه بعد الغزو المغولى، ولم يكتف بذكر المؤلفات العربية بل ذكر أيضا ما كتب باللغة التركية والفارسية .